

مميزة الحج وطابعها العالمي

المكان: طهران

الحضور: القائمين على شؤون الحج

الزمان: ٤/٨/١٣٨٨ش. ٧/١١/١٤٣٠ق. ٢٦/١٠/٢٠٠٩م

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

أشكر الله تعالى وأحمده من أعماق وجودي على أن منحنا الفرصة والمهلة مرةً أخرى وسنة أخرى لنشهد مراسم الحج وتوجه الحجاج نحو ذلك القطب المحبوب في قلوب المسلمين على مرّ التاريخ.

النظرة للحج يجب أن تكون نظرة لنعمة وفرصة إلهية كبيرة. هكذا هي جميع العبادات. الصلاة أيضاً فرصة ونعمة. لو لم توجّب الصلاة علينا لخيف علينا أن نغرق في بحر الغفلة المحضّة. هذه النعمة الكبيرة التي نؤخذ فيها عدة مرات في اليوم نحو لقاء الخالق والتحدث معه والخشوع والتضرع أمامه، هي نعمة كبيرة جداً وفرصة عظيمة. وكذلك هو الحج. مميزة الحج على سائر الواجبات والفرائض الإسلامية هي طابعه العالمي والدولي. التضرع الذي يحتاج إليه كل مسلم في قلبه حيث يحتاج أن يخضع ويخشع ويتضرع أمام خالقه يكتسب في الحج تجلياً عاماً ودولياً. جميع المسلمين على اختلاف لغاتهم وأعراقهم وعاداتهم وتقاليدهم يصلون هناك فيخشعون ويتضرعون. هذه ظاهرة

جد عجيبة تعودنا عليها ولم نعد نفهم أهميتها وعظمتها بشكل صحيح. أن يجتمع كل المسلمين ويتهافتون على قطب ومركز واحد ويخشعون حياله. لننظر إلى الحج من هذه الزاوية.. من زاوية كونه فرصة.

إذا نظرنا له من زاوية كونه فرصة حينئذ ستتسع نظرنا وسوف ننتبه لواجباتنا أكثر. تجدون الفرصة لإبداء العبودية لله في بيت الله إلى جانب باقي المسلمين. هذه هي النقطة الأولى في هذه الفرصة. إذا نظرنا من زاوية كون الحج فرصة عندئذ يقتضي الأمر أن لا يفوت الإنسان هذه الفرصة مهما كلف الأمر. من المؤسف أن يتواجد الإنسان في مكة المكرمة أو المدينة المنورة بجوار مرقد الرسول الأعظم (صلى الله عليه وآله وسلم) ومراقد أئمة الهدى (سلام الله عليهم أجمعين) ومراقد كبار الصحابة وشهداء أحد وباقي العظماء الذين يتلألئون في التاريخ كالشمس ثم ينشغل بالدنيا بدل التوجه والذكر، وخصوصاً إذا كانت هذه الدنيا دنيا تافهة شخصية مثل التجول في الأسواق والذهاب هنا وهناك لأمر قليلة الأهمية نشغل بها طوال حياتنا للأسف. ذلك المقطع الزمني الأكسيري الذي تكتسب كل ساعة منه قيمة كبيرة وتعد فرصة عظيمة، من المؤسف أن ننفقه للأعمال اليومية قليلة الأهمية التي يمكن أن نقوم بها في أسواق مدننا وفي أي مكان آخر. هذه هي النقطة الأولى. لنفكر بالتزود في مكة والمدينة، ولنفكر بزيادة رصيدنا الإيماني والمعنوي ورصيدنا من الذكر والخشوع أمام الخالق. هذه هي الخطوة الأولى.

مظهر آخر من مظاهر اغتنام هذه الفرصة الكبيرة هو الارتباط بالعالم

الإسلامي. العالم هو الشعوب وليس السياسة ولا القادة الظالمون، ولا المستكبرون والمتكبرون في العالم. تسمعون أحياناً أن المتكبرين ينسبون حصيلة أذهانهم الفاسدة للمجتمع العالمي. فيقولون: هكذا يريد المجتمع العالمي! المجتمع العالمي معناه المليارات من أبناء البشر. وهكذا هو الحال بالنسبة للمجتمع الإسلامي. الأمة الإسلامية هي هذا الجسد الكبير. ليست الأمة الإسلامية زيد وعمرو ومن تسلط بأية وسيلة على جزء من هذا الجسد الهائل وراح يحكمه. الأمة هي هذا الجسد من الشعوب. البركات والخيرات في هذا الجسد العظيم وإرادته التي بوسعها أن تزحزح الجبال. تحرك هذا الجسد هو الذي يستطيع أن يجعل القيم الإسلامية عالمية وشاملة. وهذا تحت تصرفكم. يلتقي الإنسان الحاج في موسم الحج من كل سنة حشداً هائلاً من الجسد العظيم للأمة الإسلامية والعالم الإسلامي. ينبغي اغتنام هذه الفرصة. إنها فرصة ويجب اغتنامها.

كيف نغتنم الفرصة؟ ثمة طرق مختلفة لذلك. من أسهل الطرق والتي يستطيع الجميع القيام بها أن يقوم الإيراني المسلم الذي يعيش تحت لواء الجمهورية الإسلامية والسيادة الإسلامية بتعريف إسلام الجمهورية الإسلامية عبر سلوكه وأعماله وأسلوبه وطباعه. ويقوم بهذه الوسيلة أيضاً بتعريف نفسه وإثبات تأثير التربية الإسلامية عليه. هذا من أسهل الطرق.

الحاج الذي يكون سلوكه في المسجد الحرام أو مسجد النبي أو البقيع أو عند زيارة شهداء أحد وفي منى وعرفات سلوك إنسان مؤدب بالآداب

الإسلامية، وسلوك إنسان تربى بالتربية القرآنية، ويكون من أهل الخشوع والتواضع والمحبة والابتعاد عن توجيه الإهانات لهذا وذاك، ويكون من أنصار الاجتماع وليس من جنود التفرقة. لدينا الكثير من التوصيات في الروايات في زمن الأئمة (عليهم السلام) بثواب المشاركة في صلاة جماعة أهل السنة إلى درجة القول بأن الصلاة خلفهم في المسجد الحرام كالصلاة خلف الرسول. ما معنى هذا؟ واضح أن الإمام الصادق لا يقارن صلاتهم بصلاة الرسول (ص)، ولا يقارنها بصلاة واحد من أتباعه، لكنه يقول صلّوا وراءهم. ما معنى هذا؟ إنه استعراض للوحدة. إنه شيء يعرض الوحدة عملياً. وعلى أساس هذه الأفكار أوصى إمامنا الجليل (رضوان الله عليه) - ذلك الرجل الواعي اليقظ - أوصانا جميعاً وأوصى جميع الحجاج الإيرانيين بالمشاركة في صلاة الجماعة في المسجد الحرام والمسجد النبوي، والمشاركة في هذه التجمعات، وهذه من مصاديقها. لا تقع عين أحد أثناء صلاة الجماعة حيث يؤدي الجميع فريضة الصلاة على حاج إيراني يحمل أمتعته - ويحمل أوزاره - نحو فندقه. هذه أشياء ضارة. السلوك المتأدب بالآداب الإسلامية من أسمى وأرفع الأمور. حتى لو لم تكونوا تجيدون اللغة العربية ولا تتواصلون مع الآخرين، بمجرد أن يكون واضحاً أنكم حجاج إيرانيون وتتحلون بهذا السلوك المؤدب المحترم وأنكم أهل نظافة ودعاء وذكر - دعاء كميل الذي بدأت قراءته تشيع منذ سنوات - كان ذلك أكبر تبليغ وإعلام. هذا أهم من كثير من أساليب التبليغ. تجلس هذه الجماعة المؤمنة الهائلة أمام الله تعالى وتتضرع وتستغفر وتذرف الدموع.. هذا سيكون تبليغاً.

المشاركة في مراسم البراءة تبليغ كبير. مجرد هذه المشاركة هو تبليغ. هذا يدل على أنكم تقبلتم الحج بكل أبعاده وعلى شكل رزمة كاملة.

ثمة في الحج توحيد. وللتوحيد بحد ذاته جزءان: أحدهما الله، والثاني لا إله إلا الله. أحدهما الإثبات والثاني النفي. الحج هو مظهر التوحيد. إثبات ولاية الله ونفي ولاية غير الله. هذه هي البراءة.

نقطة أخرى في باب الحج هي أن تقوم قوافل الحج الإيرانية الكبرى - وهي والحمد لله مبعث فخر للجمهورية الإسلامية - بتلبية احتياجات الزمن والأمة الإسلامية بحسب ما تقتضيه هذه الاحتياجات. لنرى ما هي الاحتياجات كل سنة. يشعر الإنسان في هذا العصر وفي هذه الأعوام القريبة ومنها هذه السنة أن من الاحتياجات المهمة الحاجة إلى الاتحاد الإسلامي، والوحدة بين الفرق الإسلامية. لاحظوا ما يقوم به أعداء الإسلام والأمة الإسلامية من أجل تمزيق المسلمين وخلق الفواصل بينهم، وكم يبذلون من الأموال من أجل خلق مجابهات واصطفافات بين المسلمين. هذه من الأهداف الأكيدة للأحداث الدامية التي سمعتم بنموذج لها أمس في العراق، وتقع نماذج عديدة لها في باكستان ومناطق أخرى، ويقتل المسلمون قتلاً جماعياً بواسطة الإرهاب الأعمى أو يجرحون أو تقطع أعضاؤهم. جزء كبير من هذه العملية يتصل بقضية خلق الخلافات بين الشيعة والسنة.

في بلد العراق عاش الشيعة والسنة قرناً طويلاً إلى جانب بعضهم. نفس هذه الكتب ونفس هذه العقائد الموجودة اليوم كانت موجودة في السابق وربما

بطابع أشد. لكن لم تكن لمثل هذه الأحداث سابقة طوال قرون، ولم يكونوا يهاجمون بعضهم. فمن هم هؤلاء؟ أو هذه الأحداث الدامية التي وقعت في مناطق من بلدنا أحياناً وعلى مرّ الزمن وفي الفترة الأخيرة، أو الحوادث التي تقع في باكستان، الشيعة ضد السنة، والسنة ضد الشيعة! هؤلاء ليسوا شيعة أو سنة. الذين يقومون بهذه الأعمال هم عملاء الأجنبي إما بصورة مباشرة أو غير مباشرة.. إنهم عملاء الأجنبي وأيديه.. من هم هؤلاء الذين يظهرون للحجاج الشيعة والحجاج الإيرانيين بجوار البقيع وفي المسجد الحرام وفي مسجد النبي، ولا أحد يدري من أين هم، يظهرون لهم ويهينون المقدسات، ويتجاسرون أحياناً حتى على أعراضهم؟ ينبغي أن يتيقظ الجميع ويتحلوا بالوعي إزاء هذه الأمور. من واجب الحكومات ومن واجب الحكومة السعودية أن لا تسمح بالتعرض لزائر بيت الله ولحجاج بيت الله الحرام، ولزوار المرقد المقدس للرسول والأئمة (عليهم السلام).. أن يأتي شخص ويقوم بحركة ضد الزائر أو ضد رجل الدين الشيعي أو ضد كذا وكذا، ثم يقف رجل القانون السعودي ويتفرج أو يتدخل أحياناً لصالح المعتدي، هذه ممارسات غير صحيحة وهي على الضد تماماً من الوحدة. إنها الشيء الذي تريده أمريكا وأجهزة التجسس الأجنبية. لا يمكن لمجموعة حجاج بيت الله الحرام أن يغفلوا عن أحداث العالم الإسلامي.

إن بلد العراق اليوم، وبلد أفغانستان، وبلد فلسطين المظلوم، وجزء من بلد باكستان تعاني من ضغوط الجنود الأجانب وممارساتهم المستكبرة. فهل يمكن للعالم الإسلامي أن لا يرى هذا الواقع؟ هذه أمور ينبغي الاهتمام بها في الحج.

ينبغي للحج أن يكون مظهر بروز إرادة الأمة الإسلامية وعزيمتها الراسخة ضد هذه الممارسات التي تمس وحدة الأمة وتنال من تقدمها أو من راية الإسلام المرفرفة اليوم بين أبناء الأمة، ونحمد الله أن الجمهورية الإسلامية تمسك اليوم بهذه الراية في أيديها القوية. ينبغي التحسس من هذه الأمور، فهذا التحسس واجب. هذه أمور يجب أخذها بنظر الاعتبار في برامجنا لإدارة القوافل واختياراتنا ومجاميع حجاجنا، يجب أن تكون كلها متناسبة مع هذه الاحتياجات.

أنا طبعاً أشكر جميع القائمين المحترمين على شؤون الحج والذين بذلوا في هذه السنين الجهود للنهوض بهذا العمل الكبير وهذا الواجب العظيم.. أشكر من الصميم حضرة الشيخ ري شهري، وحضرة السيد خاكسار، وباقي المسؤولين الحكوميين ووزراء الإرشاد المحترمين الذين ساعدوا طوال هذه الأعوام، والعاملين في باقي الأقسام والقطاعات، ورؤساء القوافل، ورجال الدين المحترمين.

العمل كبير والهدف جد عظيم، وواجبنا كبير جداً. نتمنى أن يوفقكم الله تعالى جميعاً، وأن تشملكم جميعاً أدعية سيدنا بقية الله الأعظم (أرواحنا فداه).

و السلام عليكم ورحمة الله وبركاته.